

بن سلمان وسياسة الخوض في الوحل

كمال خلف

لم نعرف في تاريخ المملكة العربية السعودية ملكاً أو ولي عهد تعرض لهذا الكم من السخط والانتقادات ، كما يحدث الآن مع ولي العهد محمد بن سلمان . وهذا مبرر برأي الكثيرين ، إذ أن بن سلمان اتبع سياسة "لا سياسة" ، وراكم أخطاء كبيرة محيرة في طريقته ، وبمكابرة لا تخلو من الصلف. ابتداءً بإخفاء أبناء عمومته وإقصائهم "محمد بن نايف" و"عبد العزيز بن فهد" وآخرين ، مروراً باحتجاز الأمراء في فندق "الريتز كارتون" وإجبارهم على التنازل عن أموالهم و احتجاز رئيس الحكومة اللبنانية واهانته و حرب اليمن والتحالف مع إسرائيل و دفع الجزية بسخاء للرئيس ترامب ، وتفنن الأخير بإهانة المملكة والملك و القائمة تطول إلى أن تصل إلى جريمة مقتل الصحفي جمال خاشقجي بطريقة غريبة .

لماذا يمضي ولي العهد في السير داخل الوحل ، وهل هو مدرك بأنه يخاطر بالكيان السياسي والعائلي لأسرة آل سعود ؟

في تحليل بسيط لشخصية بن سلمان وما يفكر به ، يمكن أن نخلص إلى أننا أمام قائد يملك تصورات غير

تقليدية لبلاده والمنطقة ، وهو تفكير نادر في الثقافة السياسية العربية ، بل على مستوى القادة في العالم والتاريخ . التصورات غير التقليدية لدى صناع القرار قد تؤدي إلى طريقين لا ثالث لهما . أما الانتحار السياسي و الزوال بصورة كارثية أو أحداث انقلاب عميق وتاريخي يضع صاحبه في مصاف القادة التاريخيين والمؤسسين. في عالمنا العربي امتلك الرئيس “ جمال عبد الناصر” هذا النوع من التصورات التي أدت إلى تغيير وجه مصر والواقع في العالم العربي ، وجعلت ناصر مدرسة لها مد جماهيري وثقافي و نخوي سياسي ، رغم الهزيمة العسكرية التي مني بها في حرب 67 .

بعده مباشرة امتلك “أنور السادات” تصورات جذرية معاكسة لناصر نقلت مصر من موقع لآخر ، لكنه دفع ثمنًا باهظًا هو حياته ، وثقافة شعبية عربية عميقة تصفه بالخيانة . كذلك كان لمؤسس تركيا الحديثة “مصطفى كمال أتاتورك” تصورات ثورية وجذرية غير تقليدية ، كان أخطرها نزع الصبغة الدينية عن خلافة إسلامية دامت قرون أدت إلى تحولات تاريخية وأسست لتركيا الراهنة .

نعتقد أن “بن سلمان” نظر إلى نفسه بصفته واحداً من هؤلاء القادة ، وأراد أن يفقد تحولات جذرية في بنية النظام السياسي والاجتماعي والديني في السعودية ، وأن يلعب دوراً محورياً نشطاً وفعالاً في الإقليم ، هو بلا شك لديه عوامل أو حقائق القوة لفعل ذلك وسنأتي عليها لاحقاً ، لكنه لا يحسن إستخدامها وتوظيفها .

ثمة أسباب تدفعنا إلى التشخيص بأن “بن سلمان” يتجه بقوة نحو الطريق الكارثي . ما توضحه الأحداث السابقة الذكر ، يشي بأن ولي العهد السعودي غير محظوظ بمجموعة من المستشارين من حوله ، لديهم آراء تتراوح بين الصبانية و الانفعالية ، والجهل بحقائق وتقدير الأمور ، وهذا يتسق مع حالة من الاستعجال عند “محمد بن سلمان” وقلة خبرة في شؤون الحكم ، فقيادة التحولات الكبرى على الصعيد الداخلية والخارجية يحتاج إلى بناء مدروس و متدرج يأخذ بالاعتبار المراحل و مدى موأمتها مع الوقائع والمتغيرات . فعلى سبيل المثال تحتاج خطة الاستثمار إلى صورة مستقرة للمملكة ، ووقف الحروب والتهديد بها و تعديلات في القوانين تنسجم مع طموحات إطلاق المشروعات الإستثمارية . ما حدث هو عكس ذلك تماما .

صورة المملكة العربية السعودية تعرضت لأكبر عملية تشويه ، في كافة أنحاء العالم ، لسببين الأول قتل وتقطيع جمال خاشقجي والثاني فظائع حرب اليمن .

في العالم العربي يضاف إلى تلك الأسباب اندفاع الأمير نحو علاقة تحالف مع إسرائيل هذه هي المخاطرة الكبرى برأينا التي سوف تجعل بن سلمان يغرق في الوحل ، فما زال الضمير العربي رغم كل ما جرى في السنوات الماضية يعتبر أن إسرائيل هي العدو الأول للعرب والمسلمين .

إن اعتماد بن سلمان ومن حوله على مجموعة من الشخصيات العربية تزين لهم كل أعمالهم وتبرر لهم سياساتهم ، وتذهب أحيانا أبعد منهم في المواقف ، كأن يقول أحد المقربين والمحسوبين عليهم بالصوت

والصورة " إسرائيل دولة محترمة ولم تعد عدوة للعرب " بينما يضيف آخر " انا لست ضد التطبيع بالمبدأ " ويقول ثالث " لا أحد يفاجأ بأن إسرائيل باتت حليف " . هؤلاء يقولون هذا الكلام مقابل المال أولاً ، وهم شخصيات منبوذة اساؤوا بلسانهم وسفاهتهم وتهريجهم للمملكة و مكانتها ، وثانيا لن يغيروا في توجهات ومفاهيم الشارع العربي كما هو مأمول ، إنما هم يسقطون و تفشل معهم السياسات التي تقف خلفهم .

ما من شك أن السعودية تملك حقائق القوة التي تجعل ليس من السهل انهيارها ، لديها الاقتصاد و الإعلام و التحالف مع القوة العظمى ، والمقدسات الإسلامية ، والتأثير في عدد من الدول . وهذا مسلم به . إلا أن عوامل القوة هذه تستخدم بشكل سيء ، وبهذه الصورة لا يمكن أن تكون فاعلة في قيادة تحولات يحلم بها ولي العهد السعودي . عوامل القوة هذه سلاح ذو حدين ، وسوء إستخدامها بهذا الشكل كما نراه اليوم ستدفع بنتائج معاكسة .

العودة عن السياسات الكارثية السابقة ، أقل كلفة بكثير من الاستمرار بها ، لأنها ونقولها بكل ثقة و يقين سوف تذهب بولي العهد ومستقبل المملكة إلى المجهول .

عليكم بمراجعة كل المنظومة الحالية قبل فوات الأوان .

كاتب و إعلامي فلسطيني